

موقف حُكّام دولة الأغالبة من العلماء في إفريقية (184-296هـ/800-909م)

*The attitude of the Aghlabid rulers toward the scholars in Ifriqiya  
(184-296 H / 800-909 G)*

لكحل علي ، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي (الجزائر)

lakehalali86@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/09/01 تاريخ القبول: 2025/12/13 تاريخ النشر: 2025/12/31

**ملخص:** نحاول في هذه الدراسة التعرف على السياسة التي اتبعتها الحكام في الدولة الأغلبية تجاه العلماء مع العمل على ابراز رد فعل العلماء حيالها. ولا شك أنّ الإسلام رفع من قيمة العلم ودعا الى رفع منزلة العلماء وتوقيرهم، ولعلّ هذه المنزلة الرفيعة والدرجة العالية التي خصّها الإسلام للعلم والعلماء أدركها أمراء دولة الأغالبة ب إفريقية (184-296هـ/800-909م) الذين سعوا لحفظ قدر العلماء وإعلاء مكانتهم في المجتمع من خلال استشارتهم في أمور الدولة السياسية والعسكرية مساهمين بذلك في تثبيت دعائم الدولة وإصلاح أحوال المجتمع، لكن هذا لم يمنع من ظهور بعض المواقف التي امتحن فيها العلماء نتيجة مواقفهم المخالفة لآراء الحكام فتّم التضييق على نشاطهم.

**كلمات مفتاحية:** كلمات مفتاحية: السلطة ، الأغالبة ، إفريقية ، العلماء.

**Abstract :** In this study, we attempt to understand the policy adopted by the rulers in the majority state towards scholars, while also highlighting the scholars' reactions to it. There is no doubt that Islam elevated the value of knowledge and called for raising the status of scholars and respecting them. Perhaps this high status and rank that Islam granted to knowledge and scholars was recognized by the princes of the Aghlabid state in Ifriqiya (184-296H/800-908G), who sought to preserve the dignity of scholars and elevate their status in society by consulting them on political and military matters, thus contributing to the consolidation of the state's foundations and the reform of societal conditions. However, this did not prevent the emergence of some situations where scholars were tested due to their positions that contradicted the views of the rulers, leading to restrictions on their activities.

**.Keywords:** Authority, Aghlabids, Ifriqiya, Scholars

\*- المؤلف المرسل

مثّل قيام إمارة الأغالبة في إفريقية سنة 800هـ/184م طفرة كبيرة في نظم الحكم عند المسلمين حيث كان ذلك بداية لتخلي الدولة العباسية عن الحكم المركزي في مختلف أقاليم الدولة . وقد طالّت فترة حكم الأغالبة لإفريقية حيث تجاوزت القرن من الزمن تداول على حكمها إحدى عشر أميرا ، شهد حكمهم استقرارا إلى حد ما في مختلف مناحي الحياة خاصة في الجانب العلمي، الأمر الذي عجّل بروز نُخب من العلماء والمفكرين داخل الدولة كانوا سببا في تأسيس العديد من المؤسسات العلمية كجامع الزيتونة وبيت الحكمة في القيروان وغيرهم، فأصبحت المنطقة بذلك موضعا لاستقطاب أعدادا كبيرة من العلماء في الفلك والطب والفلسفة من مناطق مختلفة، فازدهرت العلوم والآداب والفنون .

والمؤكد أنّ هذا الجو العلمي المميّز زمن الأغالبة (184-296هـ/800-909م) جعل للعلماء مكانة كبيرة لدى عامة الناس حتى أنّ بعضهم كادت سمعته وتقديره تقترب أو تعادل سمعة الحكام أنفسهم. هذا الأمر الذي أدى بأمراء دولة الأغالبة إلى السعي للتقرّب منهم والاستفادة من فضلهم ، كما لا يخفى في نفس الوقت خشية بعضهم على استمرار ملكهم نتيجة تمدد نفوذ العلماء ، فكيف تعامل حكام الأغالبة في إفريقية مع العلماء ؟ وما الأسباب التي أدت إلى هذه المواقف؟ وفيما تمثّلت مظاهر هذا التعامل؟

## 1. موقف حُكام الأغالبة من العلم :

أظهر الأمراء الأغالبة اهتماما كبيرا بالعلم، لعلّ من أبرز مظاهر اهتمام أمراء الدولة الأغلبية اجتهادهم في طلب العلم فكان الأمير إبراهيم بن الأغلب فقيها أديبا شاعرا خطيباً<sup>1</sup>. ومما يدل على نبوغه في الأدب والشعر ما أورده ابن عذارى نكتفي بذكر هذين البيتين يعبر فيهما عن اشتياقه لزوجته وأهله الذين تركهم بمصر:

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة ألا وذكريني دائما عنقـي

ولا ذكرتك إلا بت مرتقبـا أرعى النجوم كأن الموت معتنقي<sup>2</sup>.

وأما عن اهتمام الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب بالعلم والعلماء ، فقد كان يجالس علماء العربية والشعراء، ويلازمهم كثيرا، فكان بذلك أفضل أهل بيته، وأفصحهم لسانا، وأكثرهم بيانا، ليس

<sup>1</sup> - الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، 1994 ، ص 176 .  
ابن الآبار ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 93 .

<sup>2</sup> - ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق س كولان وإ. بروفنسال ، ج 1، دار الثقافة، ط3 ، بيروت ، 1983 ، ص 92 .

في كلامه لحن<sup>1</sup> ، وفي هذا الإطار ذكر ابن عذارى أنه كان في بلاطه عدد من الشعراء منهم علي بن أبي سلمة وأبي العزاف ويعقوب بن يحيى<sup>2</sup> .  
وكان الأمير نفسه شاعرا، فقد طلب الخليفة العباسي المأمون أمرا منه استاء منه زيادة الله فكتب إليه قائلا :

أنا النار في أحجارها مستكئة فإن كنت ممن يقدر النار فاقدر  
أنا الليث يحيي غيله بزئيره فإن كنت كلبا حان موتك فدانب  
أنا البحر في أمواجه وعبابه فإن كنت ممن يسيح البحر فاسيح<sup>3</sup> .

ويذكر أنه كتب هذه الأبيات للخليفة وهو سكران ، وحينما تنبه من سكره واستهول ما فعله بعث في طلب الرسول لكنه لم يدركه، فكتب خطابا ثانيا يعتذر فيه عما قال<sup>4</sup> .  
والأكيد أنّ مساهمة هذا الأمير كانت كبيرة عبر توفير مراكز تعليمه ونشره، وذلك ببنائه رباط سوسة الذي عدّ مأوى للعلماء والصالحين ، إضافة الى مهامه الرئيسية كونه محرس للمدينة .  
ومن أمراء الأسرة الحاكمة من كان لهم دور كبير في تشجيع العلم والعلماء نجد أيضا الأمير محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم الذي وصفته المصادر أنه كان عالما أديبا شاعرا خطيبا، لا يُصاحب إلا أهل الأدب<sup>5</sup> ، وذكرت أنّه من ألف كتاب راحة القلب، وكتاب الزهر، وكتاب تاريخ ابن الأغلب<sup>6</sup> .

كما أنّ الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم، أبو العباس الذي اشتهر بالعلم والأدب ، تولى إمارة صقلية سنة 259هـ/872م وطرابلس والقيروان ، ومن شعره ما قاله عندما أتاه كتاب عزله عن طرابلس يُخاطب صديقه أبا هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها :

<sup>1</sup> - ابن الأثير، الحُلّة السيرة، الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، ط1، 1963، ج1، ص 163.  
<sup>2</sup> - ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 105.  
<sup>3</sup> - الصفدي، الوافي بالوفيات ، تح أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط1، 2000 م، ج15، ص 12 .  
<sup>4</sup> - الصفدي ، المصدر السابق ، ص 12 .  
<sup>5</sup> - ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 179.  
<sup>6</sup> - نفسه، ج1، ص ص 180-181 .

قد أتى في الكتاب ما قد علمنا من تناء ورحلة وفراق  
وعددنا الأيام فهي ثمان بعد خمس سريعة الافتراق  
فعليك السلام إن فراقى قد دنا، والفراق مر المذاق<sup>1</sup>.

وكان من أمراء الدولة الأغلبية من تعلّم اللغة اللاتينية وأتقنها كما هو الحال مع إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب نظرا لحكمه صقلية بين 261-289هـ/874-901م إضافة إلى أنّه كان يحسن بعض العلوم منها علم الفلك ورصد النجوم ، ورسم أزياجها<sup>2</sup> ، وحساباتها على الرغم من صعوبتها<sup>3</sup> ، وبلغ من اهتمامه بالعلم أنّه كان يرسل في كل عام مرة أو مرتين سفارة إلى بغداد لتجديد ولاته للعباسيين مستغلا تلك الفرصة في اقتناء نفائس ما يوجد ببغداد من كتب ، ومحاولة إغراء علماءها لاستقدامهم إلى المغرب<sup>4</sup>.

ومن مظاهر اهتمام الأمير إبراهيم بن أحمد بالعلم تأسيسه بيت الحكمة بمدينة رقّادة نظرا لشدة اهتمامه بالعلوم الرياضية والحكمة، والفلسفة وما يتبعها من فنون، حيث جلب اليه العلماء والكتّاب والأطباء من كافة البلاد الإسلامية<sup>5</sup>.

والأكيد أنّ تأسيس هذا البيت كان إضافة كبيرة للعلم وأهله ، تنضاف إلى المؤسسات العلمية القائمة حينذاك كجامع القيروان وجامع الزيتونة، والكتاتيب وبيوت الأمراء والعلماء، ما أهل إفريقية لتصبح مركزا علميا يستقطب المئات العلماء وطلاب العلم سنويا .

كما أنّ الأمير غلبون بن الحسن بن غلبون التميمي (ت 291هـ/903م) المعروف في كتب التاريخ بأبي عقال الذي طلب العلم وصار عالما بالحديث والأدب، وله شعر في الزهد والتصوف منه قوله متحسرا على ما فات من العمر الذي ضاع في اللهو وحب الشهوات، ومُلّتمسا عفو مولاه وصفحه:

لأهْجُرَنَّ أَحَبَّتي ومعـارِفي ولأَقْطِئَنَّ عِصَابَةَ الْمُجَانِ  
ولأُبْكِيَنَّ على الصِّبا ولَمَّا مَضَى من غُرَّتِي في سَالِفِ الأَزمانِ

<sup>1</sup> - نفسه، ج 1 ، ص 181-182 .

<sup>2</sup> - الزيج هو جدول حسابي يبين مواقع النجوم، ويحسب سير الكواكب، ومنه يستخرج التقويم . انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح ابراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1989م، ص 242 . وعمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ط3، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980 ، ص116 .

<sup>3</sup> - حسن عبد الوهاب ، ورققات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ج1، ص85.

<sup>4</sup> - نفسه، ص196.

<sup>5</sup> - حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص 164 .

فلعلَّ من شَمَلَ العِبَادَ بِفضله يُجِي الفؤاد بكثرة الأشجان  
فامئن عليَّ بما أوَمَلُ منك يا مُعْطِي الجميل ومُسْدي الإحسان<sup>1</sup>.

وفي نفس السياق نجد أخته الأميرة الأدبية مهربة المتوفاة بمكة سنة 295هـ/908 م، بقي من شعرها أبيات في رثائه قالت :

ليت شعري ما الذي عانيته بعد طول الصّوم مع نفي الوسن  
مع غروب النفس عن أوطانها و التخلّي عن حبيب و سلكن  
يا شقيق ليس في وجد به غلّة تمنعني من أن أجـنّ  
وكما تبلى وجوه في الثّرى فكذا يبلى علمنّ الحـزن<sup>2</sup>.

ونجد أن الأمير عبد الله بن ابراهيم بن أحمد الذي تولى إمارة صقلية في عهد أبيه، كانت له عناية كبيرة باللغة والأدب<sup>3</sup>.

وتدعيما لما ذُكر عن الرجل أورد الدباغ عنه نقلا عن أبي عبد الله محمد بن زرزr الفارسي بأنه كان حافظا للغريب بصيرا باللغة راوية للأشعار يحسن الصفة لها جيد القول فيها ، وشعره كثير جيد وأكثره في توحيد الله عزّ وجلّ، والرد على الزنادقة والمكذّبين، وكان يحفظ كثيرا من دواوين العرب وأشعارها<sup>4</sup> فقد ذكرت المصادر أنه أخذ عن كبار شيوخ إفريقية ابن عبدون القاضي (ت 297هـ/909م) وعبد الله بن الأشج<sup>5</sup>، ولم يكتف بذلك كانت له صلة وثيقة بأحد علماء إفريقية من أهل العلم والجدل هو أبو العباس القيّار<sup>6</sup>، لذلك وصفه ابن الأثير أنه كان عاقلا عالما له نظر حسن في الجدل<sup>7</sup>. والظاهر من خلال عرض أبرز مواقف حكام الأغالبة من العلم، أنّ اهتمامهم به يرجع الى كونه أفضل سبيل لتحقيق شرعيتهم فالعامة عبر التاريخ يُحبّذون الحاكم العالم عن الجاهل، إضافة الى

<sup>1</sup> - المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص 541.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 539. وعبد مهنا : معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 244.

<sup>3</sup> - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 175.

<sup>4</sup> - الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي، مصر، ج2، ص248.

<sup>5</sup> - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 174.

<sup>6</sup> - أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 197. ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 136.

<sup>7</sup> - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج 7 ، ص 520.

طموح بعضهم في منافسة الدول الأخرى عبر ترقية مدتهم لتصبح مراكز علمية تنافس كبريات المدن العلمية كبغداد .

كما كان للاهتمام الذي أبداه الحكام للعلم أن نشطت الحركة العلمية خلال هذا العهد، وظهرت من خلال مجالس العلم الكثيرة التي كانت تُعقد آنذاك، دون نسيان المناظرات القائمة في بلاط الأمراء.

## 2. اهتمام الحكام بالعلماء بإفريقية خلال عصر الأغالبة

تعددت مظاهر الاهتمام الذي أولاه حكام الدولة الأغلبية بإفريقية طيلة فترة حكمهم بالعلماء ، ونذر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

### 1.2: إسناد وظائف الدولة للعلماء :

أسند الحكام خلال هذه الفترة العديد من الوظائف الحكومية للعلماء منها :

#### 1.1.2 الوزارة

تعتبر الوزارة دعامة أساسية في إمارة الأغالبة ، وقد رأينا أنّ من بين المهام التي قام بها العلماء تقديم الإعانة والمشاورة ، وهي في الغالب لا تخرج عن المهام الأساسية للوزير ، وهو ما جعل بعض أمراء الدولة يفكرون في اسنادها لأهل العلم والفضل ، لكن هذه الفكرة لم ترى طريقها للتطبيق في الميدان إلا نادرا ، ولذلك لا نجد العلماء في هذا المنصب إلا مرات قليلة ، ونذكر من هؤلاء العلماء عبد الله بن الصائغ الأديب وزير الأمير زيادة الله الثالث، والذي اشتهر بالفضل والأدب وحسن التدبير في سياسة الملك<sup>1</sup>.

وكثيرا ما كان لقب الوزير يُطلق على من يتولّى منصب الكاتب خلال عهد الأغالبة، لأنّه كان يرأس ديوان الرسائل أو الخراج أو قيادة الجيش ، فقد تولّى أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي (298هـ/911م) رئاسة ديوان الرسائل في عهد الأمير إبراهيم الثاني ، واستمر في هذا المنصب في زمن الأمير عبد الله بن إبراهيم الثاني (289-290هـ/902-903م)، ورغم تكليفه بعد ذلك من قبل الأمير زيادة الله الثالث (290-296هـ/903-909م) برئاسة بيت الحكمة لكنّه احتفظ برئاسة ديوان الرسائل<sup>2</sup>.

#### 2.1.2 القضاء :

المعروف أنّ العدل هو أساس الملك لذلك أوّلَى الأمراء الأغالبة للقضاء قدرا كبيرا من الأهمية بغية تحقيق العدل بين الرعية، لذا حرصوا على تعيّن قضاتهم من بين العلماء والفقهاء المعروفين بسعة العلم والنزاهة وحتى الجرأة في الحق، ومن أبرزهم : عبد الله بن عمر بن غانم الذي ولي القضاء قبل

<sup>1</sup> - ابن الأبار: الحلة السيرة ، ج 1 ، ص 266.

<sup>2</sup> - ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 163.

قيام دولة الأغلبية في عهد الأمير روح بن حاتم ( 171-174هـ/787-790م)<sup>1</sup>، واستمرّ في منصبه إلى حين وفاته سنة 189هـ/804م<sup>2</sup>.

وزَّغِب الأمير محمد بن الأغلب أنّ يسند إلى الإمام سحنون خطة قضاء إفريقية، بعد أنّ استشار بعض العلماء في الأمر لكنّ سحنون امتنع، فألَّح عليه الأمير أن يتولّاها وحلف عليه وأغلظ فلم يقبل سحنون إلّا بعد أن تأكّد من نية الأمير في تحقيق العدل، وتنفيذ الحق بعد أن أخذ العهد على الأمير محمد أن يُطلِّق يده على أهل بيته وقرباته، خدمه وحاشيته، وينفذ عليهم أحبوا أم كرهوا، كان ذلك سنة 234هـ/848م واستمر فيه إلى وفاته سنة 240هـ/854م<sup>3</sup>.

كما أنّ الفقيه عبد الله بن طالب (ت 275هـ/888م) وُيِّ القضاء بالقيروان مرتين أيام الأمير محمد بن الأغلب<sup>4</sup>، إضافة إلى أنّ ابن عبدون الذي يُعد كبار فقهاء القيروان ولأه إبراهيم بن أحمد قضاء إفريقية في رجب 275 هـ، وأقام فيه إلى نهاية 278 هـ، كان صارمًا شديدًا<sup>5</sup>.

وكان إبراهيم بن الطنبلي شريكا لسحنون بن سعيد (240هـ/854م) في قضاء القيروان لفترة بأمر من الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ( 226-242هـ/840-856م)<sup>6</sup>، وولّى الأمير إبراهيم بن أحمد قضاء إفريقية لـمحمد بن عبد الله بن عبدون بن أبي ثور الذي يُعد كبار فقهاء القيروان في رجب 275 هـ، وأقام فيه إلى نهاية 278 هـ، وقد كان صارمًا شديدًا<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص 78-84.

<sup>2</sup> - المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 220.

<sup>3</sup> - أبو العرب، المصدر السابق، ص 185. والدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 85.

<sup>4</sup> - الخشني، طبقات علماء أفريقية، تح محمد زينهم، مكتبة مدلولي، القاهرة، ط 1992، ص 1، ص ص 306-307.

<sup>5</sup> - الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية وتونس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ص 185 - 189.

وابن عذارى، البيان، ج 1، ص 121

<sup>6</sup> - الجودي، تاريخ قضاة القيروان من تأسيسها إلى سنة 1302هـ/1884م، مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الوطنية، تونس، ورقة 2-20.

<sup>7</sup> - الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية وتونس، ص ص 185-189. وابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص: 121.

3.1.2 التدرّيس في بيت الحكمة: بناه الأمير الأغلب إبراهيم الثاني (26-289هـ/875-902م) بمدينة رقادة بالقيروان، محاكاة لبيت الحكمة الذي أسسه العباسيون في بغداد<sup>1</sup>، وكان يضم غرفا كثيرة بعضها للمكتبة وبعضها للنسخ وأخرى للدرس والمناقشة والمناظرة، وخصّص بعضها للرصد، وفُرشت هذه الغرف بالحصى واللباد والبساط القيروانية الشهيرة، وكان للأمير فيه سرير يجلس عليه ليشرّف فيه على المناقشات أو المناظرات التي كانت تدور بين العلماء في حضرته، وكان طلاب العلم يقصدون بيت الحكمة للإطّلاع ونسخ الكتب، وكان من يتولى الإشراف على بيت الحكمة يسمّى "صاحب بيت الحكمة"<sup>2</sup>.

لعلّ أبرز من أسند إليه ذلك نجد أبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بالصيقل الذي برع في العديد من العلوم والصناعات التي جعلته من ألمع رجالات البلاط ومدربي بيت الحكمة في عهد إبراهيم وخليفته<sup>3</sup>، وعهد أيضا زيادة الله آخر أمراء بني الأغلب إلى أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الإشراف على بيت الحكمة الذي بقي يشرف عليه إلى أن سقطت دولة الاغالبة على يد الفاطميين<sup>4</sup>.

## 2.2 الاستعانة بالعلماء

كثيرا ما استعان الأمراء الاغالبة بالعلماء لإدراكهم بمدى تأثيرهم في الناس ومواقفهم، فالأمير عبد الله بن إبراهيم (196 - 201هـ/812-814م) كان يستعين بالعلماء ليعينوه على تسيير أمور الرعية أثناء إمارته، فينقل ابن الأثير أنه كتب إلى العمال كتابا يقرأ على العامة يعدم فيه بالإحسان والعدل والرفق والجهاد، وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه في تحقيق ذلك<sup>5</sup>. ومن ذلك ما قام به الأمير محمد بن الأغلب لما استعان بالفقيه سحنون (ت 240هـ/854م) لمواجهة ثورة عمرو بن سليم المعروف بالقُوبع الذي ثار علي حكمه سنة 234هـ/848م قائلين للأمير: سحنون

<sup>1</sup> - البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص:108.

<sup>2</sup> - محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، 2005م، ج 1، ص 301.

<sup>3</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 230

<sup>4</sup> - أحمد بن محمد المقري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، ج 4، ص 119.

<sup>5</sup> - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص: 520.

داعية مُطاع ، فأمره بنصره على هذا الخارجي، فبعث فيه الأمير وأعلمه بالأمر واستشاره في قتاله، وطلب منه أن يحرض الناس على ذلك<sup>1</sup>.

واستعان محمد بن حمزة قائد الأمير زيادة الله الذي أرسله على رأس جيش لمحاربة الثائر منصور الطنبذي بتونس بالفقيه شجرة بن عيسى (ت 262هـ/875م) مع أربعين فقيهاً من فقهاء تونس لإقناع الطنبذي بضرورة الرجوع إلى طاعة الأمير<sup>2</sup>.

ولما ضرب الأمير إبراهيم بن أحمد الدراهم الصحاح سنة 275هـ/888م، وقطع ما كان يتعامل به من القطع ثارت عليه العامة رافضين وساطة وزيره أبا عبد الله بن أبي اسحاق وقابلوه بالسب والرمي بالحجارة، فاستعان بالفقيه الزاهد أبا جعفر أحمد بن مغيث (ت 277هـ/890م) فقبل الثوار وساطته في حل المشكل<sup>3</sup>.

واستعان الأمير زيادة الله الثالث بفقهاء إفريقية على الداعية الشيعي أبي عبد الله لتوجيه الناس وإرشادهم على الوقوف ضده ، فأظهروا لعن أبي عبد الله الشيعي وحرّضوا الناس على قتاله وأفتوهم بمجاهدته<sup>4</sup>.

وكان الأمير عبد الله بن إبراهيم الأغلبي يستعين بالعلماء ليعينوه على تسيير أمور الرعية أثناء إمارته فينقل ابن الأثير أنه كتب إلى العمال كتاباً يقرأ على العامة يعدم فيه بالإحسان والعدل ، والرفق والجهاد ، وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه في تحقيق ذلك<sup>5</sup>.

### 3.2 احترام وتقدير العلماء

لقد ظهر احترام الحكام الدولة الأغلبية للعلماء في صور وأشكال مختلفة ، فكان من إكرام الخليفة العباسي لابن غانم إذا كتب كتاباً لإبراهيم بن الأغلب يقول له فيه وأنا لا إفك لك كتاباً حتى يكون مع كتابك إلي كتاب ابن غانم ، كما كان إبراهيم أكثر الناس مداراة وتعظيماً له<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص350.

<sup>2</sup> - ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1، ص ص98-99.

<sup>3</sup> - نفسه، ص ص120-121.

<sup>4</sup> - نفسه ، ص 137

<sup>5</sup> - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 520.

<sup>6</sup> - القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج3، ص 69.

ووطت الأمير إبراهيم علاقة طيبة بالكثير من العلماء والفقهاء نذكر على سبيل المثال كان يكتب لفقهاء المالكية أحمد بن معتب بن أبي الأزهر قائلًا (إلى أخي في الإسلام وشقيقي في المحبة) <sup>1</sup>. ووهب إسماعيل بن يوسف الطلاء الذي يعد أول من أدخل فن الطلاء العراقيّ إلى القيروان، بعد فتح مدينة طبرمين في صقلية ثمانية عشر رأسًا من السبي <sup>2</sup>.

وكان زيادة الله بن الأغلب يفخر بتولية القضاء لأحمد بن أبي محرز، ويعتبر ذلك من أكبر إنجازاته في ولايته لإفريقية إذ كان يقول: لا أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات: بنيان مسجد الجامع والقيروان وبنيان قنطرة الربيع وبنيان حصن مدينة سوسة وتوليقي أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية <sup>3</sup>، ويذكر أيضا أنه لما توفي بن أبي محرز ناشد زيادة الله أهل القيروان بقوله: يا أهل القيروان لو أراد الله بكم خيرا لم يزل أحمد بن أبي محرز بين أظهركم <sup>4</sup>.

ومن شدة احترام وتقدير الأمير زيادة الله الأول للفقهاء أسد بن الفرات أن هذا الأخير لما خرج على رأس حملته إلى صقلية لم يعزله عن القضاء بل أصر على إكرامه وإعلاء شأنه قائلا: إني لم أعزلك عن القضاء بل وليتك الإمارة، وهي أشرف من القضاء وأبقيت لك اسم القضاة، فأنت قاضي أمير <sup>5</sup>. وحدث أن لام الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب قائده أبو فهر بن عمرو على قتل الفقيه عباس الفارسي (ت 218هـ) في حربه ضد منصور الطنبذي، فقد جلس عباس بن الفارسي في داره ولم يقاتل حتى دخلوا عليه في داره وقتلوه، فلما عاد ابن عمرو إلى الأمير زيادة الله وأخبره بما جرى له بتونس واستيلائه عليها وقتله لعباس الفارسي، أنكر عليه الأمير ذلك بشدة، قائلا له: ما حملك على ذلك، وما دعاك إلى قتله، وهو رجل صالح عالم، أما علمت أن قاتل عباس بن الفارسي لا يلبث حولا وتذكر المصادر أنه لم يدر الحول على أبي فهر حتى قُتل <sup>6</sup>.

ومن مظاهر احترام السلطة للعلماء كذلك تنفيذ مطالبهم فحدث مرة أنّ الأمير إبراهيم سأل أبا الأحوص (ت 284هـ/897م) ذات مرة (هل لك حاجة؟) فامتنع في البداية، لكن الأمير أصرّ عليه، فقال:

<sup>1</sup> - نفسه، ص 259.

<sup>2</sup> - محمد بن حسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت، ط 2، ص 242.

<sup>3</sup> - النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 24، ص 115. والحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3، ص 321.

<sup>4</sup> - المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 401. ابن الدباغ، المصدر السابق، ج 2، ص 27.

<sup>5</sup> - المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 188.

<sup>6</sup> - نفسه، ص ص 248-250.

ثلاث حوائج فقال: هي مقضية، فما هي؟ فطلب منه الزيادة في الجامع لضيقه عن الناس، وإجراء ساقية من خارج المدينة إلى مواجهها حتى ينتفع بها الناس، وإخراج المحبوسين من أهل تونس، فأجابته الأمير تقديراً لعلمه ومكانته، وأضاف المالكي أنه سأله أيضاً أن يبني للمسلمين مصلى يصلون فيه يوم العيد ففعل ذلك<sup>1</sup>.

كما حرص بعض الحكام على تكريمهم بالمال والبهات، ومن الأمثلة على ذلك أن أبا الأمير إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب كان يركب ليالي شعبان وشهر رمضان، يخرج من القصر القديم ومعه دواب محملة بالدرهم فيأمر من لقيه حتى ينتهي إلى المسجد الجامع بالقيروان، لكنه من باب محبته للعلماء والصالحين كان يقصد دارهم فيأمر بقرع أبوابهم، فإذا خرجوا إليه أمر بإعطائهم من ذلك المال<sup>2</sup>. ومن العلماء الذين أكرمهم حكام الأغلبية نجد الطبيب الفضل بن علي بن ظفر الذي صحب ولاة الأغلبية، وجلس في مجالسهم العلمية<sup>3</sup>، فإلى جانب رسوخه في الطب كان أدبياً وفقهياً حيث قال ابن عذارى عنه: كان أديب عصره، وظريف دهره، علماً وفقهياً، وأدباً ووفاء<sup>4</sup>.

ومنهم أيضاً عبد الجبار بن خالد السرتي (ت 281هـ/894م) لما هم بمغادرة مناسبة ختان أحد أولاد الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد بالقيروان، قام الأخير بصحبته إلى باب القصر وأمر أعوانه أن يحملوا الفقيه على دابة وقال: والله لا برحت حتى تترك، فركب عبد الجبار<sup>5</sup>.

ومن صور الاحترام أيضاً نصرة العلماء وحمائهم فقاكنت العلاقة بين الإمام سحنون وسليمان بن عمران متوترة، فلما مات سحنون وتولى سليمان بن عمران قضاء القيروان مكانه أساء صحبة ابنه محمد بن سحنون، وتفاقم الخلاف بينهما وكان سليمان يلقيه ويؤذيه بالقول فكتب محمد إلى الأمير محمد بن الأغلب بما كتب به عثمان إلى علي رضي الله عنهما:

فإن كنت مأكولاً فكُن أنت أكلي وإلا تداركني ولما أمزق

فقال ابن الأغلب: ومن يمزقه، مزق الله جلده. ثم رفع يد سليمان عنه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - نفسه ، ص ص 485-486.

<sup>2</sup> - النويري ، المصدر السابق ، ج 11 ، ص 68.

<sup>3</sup> - الخشني ، المصدر السابق ، ص 221 .

<sup>4</sup> - ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 209.

<sup>5</sup> - المالكي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 467 .

<sup>6</sup> - القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 428.

## 4.2 تشجيع العلماء :

لم يتوان حكام الدولة الأغلبية بإفريقية في تشجيع العلماء فلأمير الأغلبي زيادة الله الثاني ساعد الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي على إدخال عملية تركيب الأدوية إلى إفريقية لأول مرة حتى يشرف على النظام الغذائي له بحكم إصابته بمرض ضيق التنفس ، ويذكر أن وسائل علاجهم كانت مقتصرة على الكي وجبر العظام المكسورة ، وتضميد الجروح بالأعشاب والعلاج بالعقاقير ، كما يُنقل أنه ألف ثلاثة عشر كتاباً منها كتابه في الفصد ، وآخر في الأدوية المفردة ومقالة في الاستشفاء<sup>1</sup>.

## 5.2 طلب البراءة من العلماء :

نقل المالكي أنّ الأمير إبراهيم بن الأغلب كان يصلي بالجامع المكتوبات كلّها، فخرج ليلة من الليالي من دار الإمارة بالقيروان، فدخل الجامع لصلاة العشاء ، وكان مشغول القلب فعثر في حصير فسقط ، فلما صلى بالناس وانصرف إلى منزله بعث في طلب الفقيه عبدالله بن غانم (ت 190هـ) الذي كان يتولى القضاء آنذاك ، فلما أتاه الرسول وقال له : الأمير يدعوك، تغير ابن غانم عند ذلك وقال: في مثل هذا الوقت يُوجّه ورائي؟ ولم يجد بداً من القيام إليه ، فلما دخل عليه قال الأمير: يا أبا عبدالرحمن إني لم أبعث إليك إلا لخير، إني لما دخلت المسجد اشتغل قلبي عن حفظ نفسي، فعثرت في حصير فسقطت، فظننت بالناس أنهم حسبوا أنني مُتنبّد ، فأحببت أن تكون براءتي عندك ، فطلب من هشمّ فمه، ففعل ابن غانم ذلك، فوجده بريئاً ، فشكر له الأمير ذلك<sup>2</sup>.

ولعلّ هذا يدل على حسن العلاقة والثقة الكبيرة بين الأمير إبراهيم وأحد علمائه وقاضيه من جهة ومن جهة أخرى يدل على ثقة العامة المطلقة في العلماء، وإلا لما يطلب الأمير من أحد أن يؤكد للناس دون سواهم براءته من شرب المسكر<sup>3</sup>.

ولجأ بعض الأمراء إلى العلماء طلباً لشهادتهم فقد شهد قضاة القيروان وفقهاؤها مع مشايخ بني الأغلب سنة 261هـ/875م عقد بيعة أبي الغرائيق محمد بن احمد لابنه أبي عقاب واستحلاف أخاه إبراهيم خمسين يميناً بجامع القيروان أن لا ينازعه ولا يعرض له بل يكون نائباً عنه إلى أن يكبر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، ص ص478-479 .

<sup>2</sup> - المالكي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 224-226.

<sup>3</sup> - فاطمة عبد القادر رضوان ، مدينة القيروان في عهد الأغلبية 184-296هـ ، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى (السعودية)، 1991م ، ص 30.

<sup>4</sup> - محمود مقديش ، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار ، حققه علي الزواري ومحمد محفوظ ، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ط1988، 1، ص325.

## 6.2 المشاركة في تأيين العلماء

لما توفي ابن غانم شهر ربيع الآخر سنة 190هـ من مرض أصابه صلى عليه إبراهيم بن الأغلب، ثم جلس على كرسي ينتظر دفنه، فوقف على قبره معد بن عقال خال إبراهيم وكان عامله على القيروان، فجعل يجزع ويبكى على ابن غانم فلما فرغوا من دفنه دعا إبراهيم بمعد فقال له: «لِمَ بكيت على ابن غانم؟» قال: «كان لي صديقا أبركا بن غانم» فقال له إبراهيم: والله ما ملكنا إفريقية ولا أمنا إذا مات ابن غانم»<sup>1</sup>.

## 7.2 زيارة العلماء وإكرامهم

عبر بعض أمراء الأغلبية عن دعمهم واهتمامهم بالعلماء عبر تخصيصهم بالزيارة سواء في منازلهم أو أماكن عُرفوا بتداولها، فكان بعض الأمراء كانوا يزورون الفقيه أبا محمد الأنصاري (ت 250هـ/864م) بمدينة مدينة سوسة ليلة النصف من شعبان وليلة النصف من رمضان يتبركون به وبدعائه<sup>2</sup>، ونفس الحال كان مع الفقيه أبي عمرو بشير بن عمرو بالمنستير<sup>3</sup>.

ونقل المالكي أنّ الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد كان يزور أبا الأحوص (ت 284هـ/897م) المتعبد بمدينة سوسة، فإن وجده يطحن قوته بيده جلس على التراب، وإن وجده فارغا جلس على جلد المطحنة لأنه لم يكن في بيته حصير ولا غيرها<sup>4</sup>.

ويجدر الذكر أنّ الكثير من أمراء بني الأغلب كانوا يأتون جامع القيروان ليلة نصف شعبان وليلة نصف رمضان، ويعطون فيها من الصدقات الكثير، ثم يخرجون قاصدين دور العلماء والكتاتيب فيوزعون عليهم العطايا<sup>5</sup>.

## 8.2 الرغبة في مجالسة العلماء ومصاحبتهم

أدرك حكام الأغلبية فضل مجالسة العلماء ومصاحبتهم، ومن أمثلة ذلك أنّ إبراهيم بن الأغلب كان جالسا يوما وعنده ابن غانم فدخل عليه صاحب بريد إفريقية، وقد وردت عليه كتب من هارون الرشيد فدفع الرسول إلى إبراهيم كتابه وإلى ابن غانم كتابه، فقرأ إبراهيم كتابه ودفعه إلى ابن غانم، فقرأه ورده على إبراهيم، فقال له إبراهيم: «هات كتابك اقرأه ... من ذلك» فقال له: «فلم قرأت

<sup>1</sup> - الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 137.

<sup>2</sup> - المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 412.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 419.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 483.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 318.

كتابي؟!» قال: «أنت دفعته إلى ومددت به يدك، وكرهت أن أردّها، وأما أنا فليست أطلعك عليه فإن أمير المؤمنين أسر إلى فيه شيئاً لا أطلع عليه أحداً» فقال له إبراهيم: «أما علمت أنه يقال إن أمير إفريقية يقتل قاضياً؟!» قال: «أعلم أن قد ذكر ذلك، ولكن لست ذلك الأمير ولا أنا ذلك القاضي<sup>1</sup>. وكان أمراء بني الأغلب يرسلون إلى أبي عبد الملك إسحاق الملقبون فيكون عندهم في شهر رمضان، فيحدثهم بتلك العجائب حتى يقطع بهم طول النهار، فحدث أن جالسه مرة سهرة كل ليلة من رمضان يحدثه بأخبار الأمم السالفة والأعوام الماضية، بالغ الأمير في إكرامه له حتى أنه أمر كاتبه بن دارم بدفع دين الملقبون كله والمقدر بخمسين ومائة دينار<sup>2</sup>.

أما عن زيارة الأمراء للعلماء فهي دليل على علو مكانتهم في المجتمع الأغلب، وقد أرخت المصادر لبعض هذه الزيارات منها على سبيل المثال: زيارة الأمير أحمد بن محمد الأغلب للفقير دحيم الضير المتعب وطلب الدعاء منه لأنه كان من العلماء المشهور عنهم استجابة الدعاء<sup>3</sup>، وكان الأمير إبراهيم بن أحمد يزور الفقيه أبو الأحوص أحمد بن عبد الله (ت 897 / 284 م) بمدينة سوسة، وكان إن وجده يطحن قوته بيده جلس على التراب، وإن وجده فارغاً جلس على جلد المطحنة لأنه لم يكن في بيته حصير ولا غيرها<sup>4</sup>. ومن مظاهر محبة حكام الأغلبية مصاحبة العلماء وإكرام وفادتهم فهذا أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الذي تولى إمارة صقلية بين 220-236هـ/835-851م يرسل في طلب أحد العلماء المشهورين هو أبي الوليد المهري<sup>5</sup> لصحبته ومرافقته إلى صقلية قائلاً له: إن الأمير أكرم الله ولأني جزيرة صقلية، فأخرج معي مصاحباً لي مؤانساً) لكن المهري أبى واعتذر إليه لأنه يخاف من ركوب البحر<sup>6</sup>، ورغم ذلك بقي هذا الأمير مُصراً على مصاحبة العلماء فبعد رفض أبي الوليد المهري

<sup>1</sup> - الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص136.

<sup>2</sup> - أبو العرب، المصدر السابق، ج1، 180. المالكي: المصدر السابق، ج1، ص ص401-403.

<sup>3</sup> - الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص59-60.

<sup>4</sup> - القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص391.

<sup>5</sup> - هو عبد الملك بن قطن المهري، شيخ أهل اللغة العربية والنحو والرواية، كان من أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارهم ووقائعها وأيامها، كما كان شاعراً بليغاً خطيباً، من مؤلفاته كتاب في تفسير مغازي الواقدي، وكتاب في اشتقاق الأسماء، توفي سنة 253هـ/867م. انظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 229-230.

<sup>6</sup> - نفسه، ص 230.

أرسل في طلب عالم آخر هو ابن غورك ، وهو من المشهورين في علم القرآن والنحو والأدب الذي وافق على صحبته<sup>1</sup>.

### 9.2.2. عناية الحكام بالعلماء :

لعلّ من أبرز صور عناية السلطنة الأغلبية بالعلماء ما قام به إبراهيم الثاني لما خرج إلى صقلية في إحدى حروبه وترك ابنه عبد الله خلفا له على إفريقية فقد حرص على أن يوصيه برعاية أحد العلماء البارزين هو محمد بن عبدون بن أبي ثور الرعييني (ت 297هـ/910م) نظرا لإعجابه الشديد بسبب فطنته وذكائه ونبوغه في العلوم الشرعية<sup>2</sup>.

ويُذكر الأمير زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم قرّب العلماء إليه وأولى لهم عناية خاصة بالرغم ما يُعرف عليه من الميل إلى اللهو، فقد حرص على جلب عدد لا بأس به من علماء الفلسفة والطب والأدب من مختلف الأقطار على رأسهم الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي وابن خنيس وغيرهما<sup>3</sup>.

### 3- معاداة حكام الأغلبية للعلماء

من خلال المواقف التي استعرضناها سابقا عن الاهتمام الكبير الذي أولاه حكام الأغلبية للعلم وأهله يظهر جليا أن المواقف التضييق والامتحان التي تعرض لها العلماء بإفريقية زمن حكم الأغلبية كان نطاقها محدودا، وكانت نتيجة قرارات واجتهادات في قضايا خاصة ، وفيما يلي نستعرض أهم المواقف التي كان فيها العلماء محل تضييق وامتحان :

الموقف الأول نذكر فيه ما تعرض له الإمام سحنون من محنتين: الأولى على يد الأمير زيادة الله بن الأغلب ( 201-223هـ) بعد أن امتنع عن الصلاة خلف قاضي القيروان آنذاك المعتزلي محمد بن أبي الجواد في إحدى الجنائز ، فشكى القاضي للأمير زيادة الله ذلك ، فأمر الأمير بضربه خمسمائة سوطا عقابا له على موقفه ، وأرسل أحد عماله لتنفيذ هذا الأمر ، لكن تدخل الوزير السّني علي بن حميد منع ذلك<sup>4</sup>.

والظاهر أن سبب رفض الإمام سحنون الصلاة خلف القاضي ابن أبي الجواد يرجع إلى تبني الأخير أفكار المعتزلة والقول بخلق القرآن .

<sup>1</sup> - نفسه، ص 233.

<sup>2</sup> - الخشني، المصدر السابق ، ص 187.

<sup>3</sup> - حسن عبد الوهاب، ورفقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج1، ص229.

<sup>4</sup> - المالكي، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 285. الدباغ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 93.

أما المحنة الثانية له فكانت على يد الأمير أحمد بن الأغلب سنة 231هـ الذي جاهر بالقول بخلق القرآن، وأعلنها على منابر المساجد بل حاول أن يفرضها على الناس، فتواری سحنون عند أحد الزهاد في قصر زياد المرابط، إلا أن الأمير أرسل من يجلبه إليه لامتحانه، فقال سحنون (أما شيء أبتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمت منه وأخذت عنه، كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق)<sup>1</sup>، فثار ابن أبي الجواد وقال كفر، أقتله ودمه في عنقي، أما القائد داود بن حمزة الذي رأى قتله بالسيف راحة له واقترح حبسه في منزله ومنعه من الإفشاء وتعليم الناس، واقترح البعض أن يُقَطَّع أرباعاً ويُجعل كل ربع بموضع من المدينة<sup>2</sup>، وكادت حياة سحنون تذهب ضحية هذه المحنة لولا وفاة الأمير أحمد بن الأغلب قبل تنفيذ حكمه، فقد روى الدباغ الوصف الأخير لمقابلة سحنون الموت بقوله (لما انصرف الحاجب الحاجب ومشوا به، وبقي بينه وبين القيروان قدر ميل، وإذا بصوت الغرائق هول الخيل يخبرهم أن أميركم قد مات)<sup>3</sup>، وعلى اثر ذلك قال سحنون: فدخلت بحمد الله سالماً<sup>4</sup>.

والموقف الثاني نتطرق إلى المحنتين اللتين مرَّ بهما الفقيه عبد الله بن أحمد بن طالب، فلأولى في ولاية سليمان بن عمران للقضاء الذي سجنه تسعة أشهر، أما الثانية في ولاية ابن عبدون ذلك أنه نظر إلى ما فعل إبراهيم بن الأغلب من الفسوق حيث كان يجبر الأهالي على بيع بناتهم اللاتي يرغب بهنّ له، فحدث أن جاءت امرأة وابنتها لهن وقصصن له ما يقع، فقال: ما أراه يؤمن بالله، فوصلت هذه العبارة إلى الأمير إبراهيم بن أحمد فأخذه بالقوة وسجنه حتى مات في السجن، وقيل أن الأمير بعث إليه رجلاً ضربوه بركبهم في بطنه حتى مات، وقيل سقاه سما فمات سنة 275هـ<sup>5</sup>.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بالنسبة للعلماء، فقد تحوّلت مسألة خلق القرآن من مسألة عقديّة يختلف حولها مختلف الفرق إلى قضية سياسية كانت وبالاً على عديد من العلماء بتدخل الحكام فيها في مرات كثيرة، فقد أمر الأمير أحمد بن الأغلب سنة 231هـ بكتابة السجلات بخلق القرآن وبقرائها على المنابر، وحمل الناس عليها، والأمر نفسه أعلنه وأعادها للظهور أبو العباس عبد الله الثاني (289-290هـ)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 94.

<sup>2</sup> - القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 11.

<sup>3</sup> - الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 95.

<sup>4</sup> - المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 286.

<sup>5</sup> - الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 173. الخشني، المصدر السابق، ص 176.

<sup>6</sup> - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 497.

ومن مواقف امتحان العلماء أيضا نذكر ما حدث للعالم الطبيب إسحاق بن عمران مع زيادة الله بن الأغلب انتهت بصلبه، فكان يحضر أكل زيادة الله فإذا حضرت الأظعمة قال له كل هذا ودع هذا، حتى ورد على الأمير طبيب يهودي من الأندلس. فلما كان يسمع إسحاق يأمر الأمير بالامتناع عن بعض المأكّل زعم أن ذلك تشديدا منه عليه. وكان بزيادة الله علة ضيق التنفس فقدم بين يديه لبن مريب، فهمّ بأكله فهناه إسحاق ولكن الإسرائيلي سهل عليه، فأكل منه فعرض له بالليل ضيق التنفس حتى أشرف على الهلاك، فأرسل إلى إسحاق وطلب إليه علاجا فقال ليس له عندي علاج فقد نهيته عن أكله فلم ينته، فعرضوا عليه خمسمائة دينار حتى بلغ الألف، فبدلوا له ألف دينار على أن يعالجه فقبل وأمرهم بإحضار الثلج وأمره بالأكل منه حتى تملأ ثم قيأه فخرج جميع اللبن وقد تجبن<sup>1</sup>.

وأكمل إسحاق قائلا: أيها الأمير لو دخل هذا اللبن إلى أنابيب رثتيك ولحج فيما أهلكك بضيق النفس ولكني أجهدته وأخرجته قبل وصوله، فقال زيادة الله باع إسحاق روي في البداية، اقطعوا رزقه أي مرتبه، فلما نُفد ما طلب خرج الطبيب إلى موضع فسيح من رحاب القيروان ووضع هنالك كرسيًا ودواة وقرطيس فكان يكتب الصفات كل يوم بدنانير، فنقل جماعة إلى زيادة الله أن بفعله هذا جلب الغنى لإسحاق، فأمر بسجنه فتبعه الناس هنالك ثم أخرجه بالليل، فقرر الأمير التخلص منه نهائيا بقتله وصلبه، مكث مصلوبا زمنا طويلا حتى عشى في جوفه طائر<sup>2</sup>.

كمحبس الأمي إبراهيم بن أحمد كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريدي سنة 276 فكتب

إليه الأخير من السجن الأبيات التالية :

هيني أسأت فأين العفو والكرم  
يا خير من مدت الأيدي إليه أما  
ترثي لصب نهاه عبدك القليم

بالغت في السخط فأصفح صفحا مقتدرا  
أن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

قال: فلما قرأ إبراهيم بن أحمد أبياته، قال: يكتب إلي: (هيني أسأت!) وهو قد أساء! أما إنّه لو قال :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا  
فهينا للكرم الكاتبينا

لعفوت عنه ، ثم أمر به، فجعله في تابوت حتى مات<sup>3</sup>.

وحدث أيضا أن غضب الأمير ابراهيم بن أحمد من كاتبه الأديب والشاعر أحمد القديدي، الذي كان مُقدِّما عنده ومُقربا إليه، ثم ما لبث أن سخط عليه بعد ذلك فحبسه عقابا لصنائه، فكتب إليه من السجن رسالة يطلب العفو من الأمير، يقول فيها: (أعزّ الله الأمير لكرم العفو وعلو قدره وجليل خطره ،

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص478-479 .

<sup>2</sup> - نفسه ، ص ص478-479 .

<sup>3</sup> - ابن عذارى، المصدر السابق ، ص ص121-122.

تسقى الله عزّ وجلّ به فسقى نفسه العفو الغفور، والطبع البشري مركب على النقص مقرون بالزلل، إلا ما خصّ الله تعالى به الأنبياء، وأودعه السادات الأمراء من طهارة الأخلاق، ونزاهة الأنفس ولست أيد الله الأمير من يدعي العصمة، والبراءة من الهفوة، ولست أمتُّ إليك إلا بفضلك عليّ، ... ولو كنت أعزّ الله الأمير عوانا في الخدمة، لكان عفوك أكبر من ذنبي وفضلك في حلمك أعظم من جرمي)، لم يجد طلبه هذا أذنا صاغية عند الاميرورد: إنّ الملوك اذا ما استرحموا قتلوا<sup>1</sup>.

## الخاتمة

سعى أمراء الأغالبة في افريقية طيلة فترة حكمهم (184-296هـ/800-909م) لدعم العلم من خلال تأسيس بيت الحكمة بالقيروان الذي كان محل استقطاب العلماء من أنحاء مختلفة الأمر الذي عاد بالنفع على البلاد .

لم يتوان حكام الأغالبة في إبداء اهتمامهم بالعلماء واطهار الاحترام لهم ، وتقريبهم منهم الأمر الذي مكن لهم من دعم نفوذهم وسلطانهم ، وفي نفس الوقت سمح ل لعلماء بالمشاركة في اصلاح أحوال البلاد والمساهمة في استقرار أوضاعها .

رغم كل الاهتمام الذي أبداه الحكام في إفريقية خلال عصر الأغالبة تجاه العلم وأهله إلا أن المتصفح للتاريخ يصادف مع الأسف مواقف كان خلال العلماء في ذلك الوقت محل امتحان وتضييق وحتى اضطهاد .

## 6- قائمة المصادر والمراجع :

### أ - المصادر:

- 1- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260)، الحلة السيرة، ج1، الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، ط1، 1963.
- 2- ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم (ت668هـ/1269م) ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- 3- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن مُحَمَّد (ت630هـ/1233)، الكامل في التاريخ ، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 4- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 699هـ/1299م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، مكتبة الخانجي، مصر.

<sup>1</sup> - ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تح حسن كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 307-308 .

- 5 - الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (626هـ/1229م)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3.
- 6 - اليعقوبي أحمد بن إسحاق (ت بعد 292هـ/905م)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.
- 7 - المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد 453هـ/1061م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1.
- 8 - ابن منظور محمد بن مكرم (711هـ/1311م)، لسان العرب، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
- 9 - المقري أحمد بن محمد (ت 1041هـ/1631م)، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، ج4.
- 10 - النويري شهاب الدين (ت 733 هـ / 1333 م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 11 - ابن عذارى المراكشي أحمد بن محمد (ت 695هـ/1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق س كولان وإ. بروفنسال، ج1، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.
- 12 - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 13 - أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت 333هـ/945م)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 14 - الصفدي صلاح الدين (ت 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.
- 15 - أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 16 - الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت 420هـ/1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994.
- 17 - التجاني محمد بن عبد الله (721هـ/1320م)، رحلة التجاني، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
- 18 - الخوارزمي محمد بن موسى (ت بعد 232هـ/847م)، مفاتيح العلوم، تح إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989م.
- 19 - ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بُوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح حسن كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت.

20- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1406م). تاريخ ابن خلدون، ج 4، دار الفكر، بيروت.

21- الخشني ابن حارث الخشني (ت 361هـ/972م)

- طبقات علماء أفريقية ، تح محمد زينهم، مكتبة مدلولي، القاهرة، ط1، 1992.

- الخشني، قضاة قرطبة وعلماء افريقية وتونس، مكتبة الخانجي، القاهرة.

### ب-المراجع :

1 - أمين أحمد ، ظهر الإسلام ، ج1 ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 2، 1966.

2 - عبد الوهاب حسن حسني :

- ورفقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، مكتبة المنار، تونس

- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط5، دار الجنوب للنشر، تونس، 2015.

3 - عبد القادر رضوان فاطمة، مدينة القيروان في عهد الأغالبة 184-296هـ ، رسالة دكتوراه،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى (السعودية)، 1991 م .

4 - الجودي محمد، تاريخ قضاة القيروان من تأسيسها إلى سنة 1302هـ/1884م ، مكتبة حسن

حسني عبد الوهاب ، دار الكتب الوطنية ، تونس .

5 - الزبيدي محمد بن حسن ، طبقات النحويين واللغويين ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار

المعارف، بيروت ، ط2.

6 - زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية، دار المنار.

7 - الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

8 - مهناً عبد ، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت.

9 - مقديش محمود، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار ، حققه علي الزواري ومحمد

محفوظ ، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ط 1 ، 1988.

10 -مرسي محمد منير ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، عالم الكتب ،

2005م ، ج1.

11 -فروخ عمر، تاريخ العلوم عند العرب ، ط3، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980.

12 -توفيق المدني أحمد، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، ط2، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع ، الجزائر.

الملحق 1: حكام دولة الأغالبة وأبرز أعمالهم

1. إبراهيم بن الأغلّب (184-196هـ/800-812م): أنشأ مدينة القصر القديم على بعد ثلاثة أميال من القيروان، اتخذها عاصمة ومقرا للإمارة، وواجه ثورات عديدة أبرزها في تونس وطرابلس<sup>1</sup>.
2. عبد الله بن إبراهيم بن الأغلّب (196-201هـ/812-817م) اتصف بالجور والاستبداد و سوء السيرة حتى مع أهله، حيث أثقل كاهل الرعية بالضرائب الباهظة فكرهه الناس<sup>2</sup>.
3. زيادة الله الأول (201-223هـ/817-838م): أُعتبر عهده من أزهى فترات الدولة الأغلبية بالنظر إلى ما حققه من انجازات عسكرية وعمرانية، منها فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات<sup>3</sup>، أما في مجال العمران فبنى سور حول مدينة القيروان وحصن الرباط بسوسة<sup>4</sup>.
4. أبو عقاب الأغلّب بن إبراهيم بن الأغلّب (223-226هـ/838-841م): أحسن إلى الجند وأزال المظالم حيث عم العدل في عهده ربوع المغرب الأدنى ، كما زاد العمال في أرزاقهم<sup>5</sup>.
5. أبو العباس محمد الأول ( 226-242هـ/841-856م) كان مظفراً في حروبه فاستقرت أوضاع البلاد في عهده بالرغم من بعض الاضطرابات التي قام بها قواد الجند في الزاب وتونس<sup>6</sup>.
6. أبو إبراهيم أحمد (242-249هـ/856-862م): من إنجازاته بناء خزان المياه في القيروان وسوسة وإدخال التحسينات على جامع الزيتونة ، كما أكثر من عطاء الجند وعزز صفوفه بعناصر من الزنوج<sup>7</sup>.
7. زيادة الله الثاني بن أحمد (249-250هـ/863-864م): ولم تقم ثورات في الداخل في عهده القصير<sup>8</sup>.
8. محمد الثاني بن زيادة الله ( 250-261هـ/864-875م): لقب بأبي الغرائق، وتم في عهده فتح جزيرة مالطا سنة 255هـ/869م، كما بنى حصونا حصونا ومحارس على ساحل البحر<sup>9</sup>.
9. إبراهيم بن أحمد (261-289هـ/875-902م): بنى عاصمة جديدة سماها رقادة سنة 263هـ/876م لتصبح مقر الإمارة فشيدت بها القصور والأسواق والحمامات وجامع كبير<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> - ابن الأثير، المصدر السابق ، ج 5 ، ص ص:339-392.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص 433.

<sup>3</sup> - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 103.

<sup>4</sup> - المالكي، المصدر السابق، ج 1 ، ص 308.

<sup>5</sup> - ابن الأتبار، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 168 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 107.

<sup>6</sup> - الدباغ، المصدر السابق، ج 2، ص 62-84.

<sup>7</sup> - ومحمد الطالبي ، المرجع السابق، ص 273-274.

<sup>8</sup> - ابن عذارى ، المصدر السابق، ج 1، ص 114 . ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4، ص 201.

<sup>9</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 1584.

<sup>10</sup> - حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص 62-67،

10. أبو العباس عبد الله الثاني بن إبراهيم ( 289-290هـ/902=903م): أظهر التقشف وحرص على العدل ، وجالس أهل العلم وشاورهم<sup>1</sup>.
11. زيادة الله الثالث بن عبد الله ( 290-296هـ/903-909م): عُرف عنه إقباله الشديد على ملذات الدنيا والميل الى اللهو ما سهّل سقوط الدولة على أيدي الشيعة<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup>- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص388.

<sup>2</sup>- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص 146-148.